

# دار السلام



ضمد كاظم الوسمي

ديالى

\* دارُ السَّلامِ عروسَةٌ تتجمَّرُ  
وَحَمَامَةٌ لِكَيْفِهَا تَتَصَفَّرُ  
\* فِي كَيْفِهَا أَيْقُونَةٌ وَعِنَادِلُ  
وَسَلَاةٌ يَسْقِيكَ مِنْهَا الشَّاقِرُ  
\* وَاللَّحْظُ شَرِيانُ الْجَمَالِ وَشِعْرُهُ  
وَحَمَائِلُ فِيهَا النُّوَارِسُ تَسْحَرُ  
\* كَتَيْبٌ عَلَى تاجِ العُرُوسِ تَمَانِمُ  
فِيهَا الحُرُوفُ عَنِ العُرَاتِمِ تُخْبِرُ  
\* وَالنُّوبُ زَاهٍ قَدْ عَلَاهُ قَسْطَلُ  
مِثْلُ الأَصَابِلِ فِي الوَعَى تَتَخَفَّرُ

\* بَغْدَادُ أَطْمَانِي هَوَاكِ وَدِجْلَةٌ  
كَالسَيْلِ فِي قَلْبِي يَصُبُّ وَيَجْرُ  
\* جَلَّ العِتَابُ فَسَيْفُ حَبِكَ قَاطِعُ  
يُرِيدِي العَوَاذِلَ فِي ثَرَاكِ وَيَدْحُرُ  
\* وَالشَّمْسُ فِي بَغْدَادَ تَرْسُمُ لَوْحَةً  
فِي النَّهْرِ لِلنَّحْلِ الحَوَامِلِ مَعْتَشِرُ  
\* عَيْنَاكِ يَا بَغْدَادُ أَيُّ حَبِيبَةٍ  
شَطَطَتْهَا لِلْحَبِّ لَيْلٌ مَقْمِرُ  
\* مَا ضَامَتِي الحَدَثَانُ يَوْمًا وَالدُّنَا  
إِنَّا وَأَنْتِ الحُصْنُ فِيهِ أَسْهَرُ

\* مَدُّ كَرَبَلَا مِنْ وَحِينَا وَاللَّ وَالْ  
سَافِرَتْ وَأَلَاهُ يَعَاثِرُ أَضْلَعِي  
\* قُرْآنَ وَالْإِسْلَامِ كَادُوا يَتَأَرَوُ  
فَإِذَا سَلَكَ القَلْبُ ثَارَ النَّاهِرُ  
\* نَصَرُوا العَرِيبَ عَلَى القَرِيبِ جِهَالَةً  
وَدَعُوا اليَهُودَ تَدْلِيهِمْ وَتَقَرُّ  
\* جَعَلُوا مِنَ التَّكْفِيرِ مَذْهَبَ دِينِهِمْ  
جَاسُوا دِيَارَ العَرَبِ فَتَكَأَ يَتَشَرُّ  
\* صَبْرًا أَيَا بَغْدَادُ إِنَّ كَلْبَ العُدَى  
صَبْرًا وَمِثْلَكَ فِي النُّوَاتِبِ يَصْبُرُ  
\* وَكَأَنَّ تَجَمَّكَ فِي الجَوَانِحِ سَاطِعُ  
وَالشَّمْسُ وَالنَّاقِمَارُ جَدَلَى تَسْكُرُ  
\* مَا قُلْتُ إِنَّ الحُسْنَ فِيهَا يَوْسُفُ  
بَلْ قُلْتُ إِنَّ الحُسْنَ فِيهَا أَرْهَرُ  
\* سَلَّ شَهْرَزَادَ وَشَهْرِيَارَ عَنِ الجَوَى  
بَلْ كَيْفَ بَزَّ الوَرْدُ سَيْفًا يَقَطُرُ  
\* عَن بَهْجَةِ التَّارِيخِ لُسْتُ بِغَاغِلِ  
لَكِنَّ جِرْحَ الحُرْنِ فِيهِ أَشْهَرُ  
\* مَدُّ صَارَ عُرْبَانُ البِلَابِ مَحَانَتَا  
وَأَبُو رِغَالٍ عَلَى القُرَى يَتَأَمَّرُ  
\* إِذْ يَحْرُسُ الأُسُورَ لَيْثُ قَسُورُ

## القصيدة 10

\* وَيُشِيدُ الأَمْجَادَ فَتَكُرُ نِيرُ  
مَا المَجْدُ يَا بَغْدَادُ إِنَّا فَتِنْتُهُ  
\* مَا لَمْ يَكُنْ الحُبُّ فِيهِ مَشْعَرُ  
مَنْ لَمْ تَكُنْ لِيَلَاهُ بَغْدَادُ الهَوَى  
\* كَتَيْمٌ فِي غَيْرِهَا يَتَدَمَّرُ  
وَيَعِيشُ مَهْجُورًا نَدِيمًا لِلطُّوَى  
\* دَخَلَ النَّهْيُ وَالقَلْبُ خَاوٍ أَقْفَرُ



## قصة قصيرة

# موسيقى صاخبة

### كريم صبح

بغداد

هل يمكن لنفس مثقلة بالوجع مثل نفسي، أن تكون ساحة حرب الكثر والفريين رغبتين؛ رغبة الحصول على مورد مالي واقرنه وطيفتي المسائية في هذه القاعة الكبيرة المحيطة بفندق فايف ستارز فخم في وسط بغداد، ويعينني على اعاللة شقيقتي ووالدتي المقعدة، ورغبة هجر الوظيفة بسبب الاستفزاز اليومي الذي يجعلنا تحت مقصلته بذخ لا حدود له في الموبقات وبسبب ما لحق بانسانيتي من اهانات من اصحاب الدولارات، حتى كرهت نفسي وكرهت شهادتي العلمية العليا التي لم تغن من جوع ؟ تبا للحاجة والعوز كيف يجعلناك تحتمل اهانات حنالات البشر في بدلات أنيقة من ماركات عالمية واموال لا عد ولا حصر ينثرونها نثرا على على عاهراتهم وتصحيح ما اصاب اجسادهم من اعطاب هنا واخرى هناك، يحاذرون جدا ان يكون بينها عطب ضعف قدرتهم الجنسية؛ فيكون عارا وطنيا اذا فضحت عاهرة تمكنت من الافلات من قبضة سمسمرتهم، سرا من اسرار انحطاط رجولتهم. انا نفسي سمعت من بعض القوادات

تطلبت وظيفتي بصفتي عريفا للحفلات التي تقام في القاعة، الاشراف على ترتيبات اي حفل قبل يوم من اقامته. فكننت اراقب الفنيين وعمال الخدمة وهم يعدون القاعة لاقامة حفل عرس لرجل اعمال عراقي يدعى المستر امجد. لا معلومات لدي عن مستر امجد هذا سوى انه هاجر الى بريطانيا في سبعينيات القرن العشرين، وانه من اصحاب الملايين فيها. الواقع لم تكن تفاصيل حياته الشخصية تهمني بشيء. كنت مهتما بامر آخر. كنت منشغلا بالدور المكروه المكرور نفسه الذي اقوم به في كل حفل، وموجوعا ومهموما بما يتخللها من نثر الدولارات على صدور الراقصات، عندما دخل القاعة شباب وسيم يحمل حقيبة سوداء ذكرتني بالحقيبة التي حملتها عندما كنت ادرس الماجستير. بدا وانفا من نفسه ومن خطواته التي قادته الى سريعا:

- مساء الخير، سالت في الباب وارشدوني اليك. قبل لي أنت العريف.

- مساء الخير، عفوا، اي حفل تقصد؟

- حفل عرس مستر امجد.

- نعم، نعم، انا هو.

- جيد، اسمح لي ان اعرفك بنفسي. انا سامر، سكرتير مستر امجد.

- اهلا بك. وانا جودت.

- تشرفنا. هل ثمة ما ينقص ترتيبات الحفل؟

- لا اعتقد. تاكدت بنفسي من وجود كل شيء.

- ثم انضيمت الي اني لم ادعه الى الجلوس على مقعد قريب منه:

- عفوا، سيدي، تفضل، تفضل اجلس.

- فجلس قبالتي. بدا وودوا جدا وراغبيا في استمرار محاورتنا، فطلبت له قرح شاي.

- شكرا لك. في وقته المناسب تماما.

- اخرج علية سكاير لم اجرهها سابقا، فناولني سيكارا واشعل واحدة، ثم قال:

- نعم، احسنت، كلما اجتمع الشاي مع السيكار يكون الوقت مناسبا تماما. لم انتووه مذ غادرت مطار هيثرو. حتى هنا، فقد جئتك من المطار مباشرة. خشيت ان تغادر القاعة قبل وصولي. والفرق بين الشاي الانكليزي والشاي العراقي ان الاول يقدم باردا والثاني يقدم ساخنا. شخصيا، افضل الشاي الساخن. فعلى الرغم من وجودي في لندن منذ وقت طويل، فاني لم اعتد الشاي الانكليزي. ثمة نكهة مميزة يفتقدها.

- عافيات. الشاي هنا لربما الشيء الوحيد الذي ظل رخيصا. ولو طال وجودك هنا فساحرص على اصطحابك الي مقاه تقدم شايا اصيلا بنكهة لن تجدها في اي مكان آخر من بغداد.

- كم كنت اتمنى ذلك فعلا. شاكر لك لطفك. لكن جدول اعمالي المزجحم لا يسمح لي بذلك. وقد تعلمت من الانكليز احترام الوقت وتكذل مستر امجد. فعلى العودة الى لندن صحية المستر بعد اسبوع، اذا لم يطرا شيء جديد يقلص تلك المدة. دك مني. حدثني عن نفسك قليلا. تبدو دافئا وودودا وقد سرتني الحديث معك. يخامرني شعور قوي ان عرافة الحفلات ليست مهنتك الحقيقية.

- كيف عرفت؟

- لا ادري، شعور حسب.

- حسنا، الامر ما ذكرت. اني احمل شهادة ماجستير في الهندسة المدنية. تخرجت قبل خمس سنوات.

- احقا ما تقول؟

- لست مضطرا الي الكذب.

- اصدقك، طبعا انت صادق، لكنك صدمتني



فعلا. فانظر الي حالك وانظر الي حال المستر امجد. هو ايضا يحمل شهادة عليا في الهندسة. لكنه الان من اصحاب الملايين في بريطانيا، وهو محترم ومقدر فيها. بيكنتي القول انه كان سيلقي مصيرك نفسه لو لم يهاجر اليها.

- لا اعلم حقا، لكني ساصدمك على نحو موجه اكثر عندما تعلم ان صاحب الفندق وهذه القاعة امي لا بقرا ولا يكتب، وكان اسكافيا قبل عام 2003 قبل انه ممن اشتركوا في سرقة المصارف الحكومية في ايام الفوضى والانتفلات. اعلم ايضا انه لا يجيد التعامل الانساني مع او مع غيري من العاملين في القاعة. اهاناتنا مستمرة ويكلفنا بواجبات تجرحنا في كرامتنا. هل تصدق انه يعامل القوادات باحترام اكثر مما يفعل معنا، ويجبرنا على احترامهن والتلق لهن او مواجهة مصير الطرد.

انصت الي باهتمام، ودون بعض الملاحظات في دفتر صغير ، ثم انتبه الي وانا احدهه حديثا طويلا عن الماسي التي خلفها داعش في احتلاله لبعض محافظات العراق، حدثته عن النازحين والفقراء والمحرومين، وكيف تركوا لمصيرهم. فاجابته اكثر من مرة وصدمته اكثر من مرة في المعلومات التي بدا ان كثيرا منها طرق سمعه اول مرة. ففرق في تفكير عميق، قطعه عندما انتبه الي حالي في وسط هذه الماساة الانسانية:

- لكنك لست مضطرا الي التشبث بهذه الوظيفة الوضيعة.

- بل لانا مضطر. في الاقل لدي عمل لم يحظ به الواف غيري.

- لم يعلق بشيء على اللهجة الحازمة التي اجبته بها. لكنه نظر في ساعته ثم نهض من كرسيه وسلمني كارتا مزخرفا وهو يقول:

- احرص على هذا الكارتن. فيه رقم موبايل المستر امجد الشخصي. لربما سيهااتفك عليه، ولربما سيرتب الكثير على هذه المهاتفة.

ثم ودعني ومضى. وعندما صار بمحاذات القاعة التفت الي مبتسما وقال: الصبر طيب عزيزي جودت، فتدردت عبارته في اسماعي من دون امل، اي امل، فعاودت الانغماس في دوري المكروه والمكروه سريعا، فالتفت نظرة اخيرة على ترتيبات الحفل. كان كل شيء قد تم بحسب ما اردت.

غصت القاعة بالحضور. فوجئت ان عدد الحاضرين تعدى سعة القاعة، من رجال ونساء، وفتيات وفتيان بعمر المراهقة. وقد علمتني تجاربي في ادارة الحفلات ان اشغل الجميع بالموسيقى، اي موسيقى صاخبة، الي ان يحين موعد الحفل. فاتخذت مكاني على المسرح واومات الي فني القاعة باشارة متفق عليها سلفا، فاطفأت مصابيح كثيرة، فبرز بهاء مساء معتد بنفسه، وانطلقت من ال دي. جي موسيقى راقصة اثارت حماسا في صفوف الحضور، عندها نظرت في ساعتني، فاكتشفت ان العروسين قد تاخرا اكثر من ساعتين، فاوقفت الموسيقى واعلنت للجميع ان العروسين انطلقا من المطار في طريقهما الي القاعة، ولربما سيصلان في اقل من نصف ساعة. ثم اعدت اطلاق الموسيقى الصاخبة التي تمايلت على انغامها اجساد مفعمة بالانوثة، بعضها لم يستمر جيدا، فاليه حماس السباب وعيونهم النهممة، فكننت منشغلا بمراقبة الاجساد المتمايلة والعيون التي تكاد تلتهمها عندما رن هاتفي، فاذا هو الرقم نفسه المدون في الكارتن الذي حرصت عليه جيدا:

- الو، نعم، تفضلوا .

- مساء الخير، استاذ جودت ؟

- مساء النور، نعم، انا هو جودت، تفضل.

- انا المستر امجد، كيف حالك؟

- اهلا وسهلا، مرحبا بكم.

- سيد جودت، حدثني سكرتيري بكل شيء. ثق بي، سبتغير كل شيء. لربما لن نلتقي اليوم، لكننا سلتقي كثيرا في المستقبل. انتظر مني رسالة نصبة على هذا الرقم في وقت مناسب. مع السلامة والى لقاء قريب.

اربكتني عباراته التي جهلت مغزاها تماما. ثم كيف لا نلتقي هذا المساء والحفل عرسه هو وانا من يتولى ادارته. لم يمنحني وقتا كافيا لاستفهم منه. بدا عجولا في معالجة امر ما ملح . فقد سمعته عبر الهاتف وهو يتحدث مع قريبين منه راقفوه في السيارة. تاكدت من وجوده في الطريق من سماعي اصوات ابواق السيارات الاخرى القريبة من سيارته. لكن ما اربكتني اكثر انه سألني عن اقرب حسينية وجامع وكنيسة الي طريقة، قبل ان ينهي اتصاله. فاجبته الي ما اراد. كانت الوجهة الاولى لموكب المستر امجد القاعة التي اقف فيها، لكنه تشاور مع عروسه في الطريق، ثم همس في اذن سائقه بكلمات نقلها فورا ميكروفون اسود مصغر مثبت في اذنه اليمينى، الي سيارات الموكب الاخرى. تحولت الوجهة بعدها. فلم يتوقف الموكب الا عند بعض المراكز الهندسية، عاد بعدها الي المطار، مع ان المستر امجد ظل ينصت -باهتمام -الى تقرير دولي مربع عن احوال النازحين في ظل حربيين؛ واحدة يزعج انها على الفساد الذي سرق اموالهم، واخرى على داعش.

ضجت القاعة بالصخب وتداخلت اصوات السب مع اصوات التامر. كيف يجرو العريس وعروسه على اهانة ضحكهما بعدم حضورهما وتركمهم ينظرون اكثر من ساعتين عينا؛ حاولا ان اسكتهم باعذار شتى، لكن بعض الحضور ممن نفذ صبره، تطاول على بكلمات بذئية لم ينقذني من صليها سوى رسالة نصبة ارسلها الي المستر امجد، نعم، رسالة نصبة انقذتني من الشتمات ولربما من الضرب في نهاية الامر. ولربما غيرت مصيري الي الابد. كنت فرحا جدا بنتيجتي الرسالة. فقد طلبت من الحضور الانصات الي فحوى رسالة المستر امجد. لكني احتفظت بشطرها الخائى لنفسي، فقرات على مسامعهم شطرها الاول فقط: - اعزوني، سيداتي سادتي، فقد اتممت عرسني من دونكم، ويوسفني اني الان في طريقني الي لندن . فاستسلم الجميع لصمت وذهول وغضب مكبوت. بدا واضحا انهم جميعا تمنوا -في تلك اللحظة- لو اطلقوا على رقبة المستر امجد بايديهم، وهي اللحظة نفسها التي انهمكت فيها حسينية وجامع وكنيسة في احصاء ما تبرع به من ملايين لاحتاجيها الحقيقيين.

\*\*\*

ها انا الان، برفقة والدتي التي شفيت من مرضها، وشقيقتي، اقضي مسائي -كما هو دابي في كل مساء طوال السنوات الخمس الماضية -على ضفاف نهر التامير، نستمتع بامواجه وجماله الذي يشبعه في لندن كلها. وقد قدر لي ان ادرس الدكتوراه في تخصصي على نفقة شركة المستر امجد، فحصلت على الشهادة قبل المدة، فكافأتنني جامعة لندن بطليعها على نفقتها وتوزيعها على الجامعات المرموقة، وكافأتنني الشركة بتقنيي الي منصب نائب مديرها التنفيذي. ترى، من يصدق ان سيل الاحلام تلك قد حقيقه الشطر الثاني من الرسالة؟